

ماذا يجب على المسلمين

تجاه القرآن

تأليف

دكتور اسرار أحمد

مؤسس جمعية خدام القرآن المركزية لاهور

تعريب

الأستاذ صهيب حسن السلفي

جمعية خدام القرآن المركزية

K- ٣٦ ، مادل تاؤن، لاهور - باكستان

اسم الكتاب

ماذا يجب على المسلمين تجاه القرآن

الطبعة الثانية

يناير ١٩٩٤

الناشر

مدير مكتبة جمعية خدام القرآن المركزية

٣٦- ك. مادل تاؤن، لاهور، باكستان.

هاتف ٨٥٦٠٠٥، ٨٥٦٠٠٤، ٨٥٦٠٠٣.

المطابع

شرکت برنٹنک بریس، نسبت روڈ لاهور

بسم الله الرحمن الرحيم

ماذا يجب على المسلمين تجاه القرآن

يجب على كل مسلم حسب مقدرته وصلاحيته خمسة حقوق تجاه القرآن وإليك بيانها بعبارة واضحة خالية عن أي غموض أو تعقيد يعقّبها توضيح كل حق مع شرح وافٍ له في ضوء القرآن نفسه.

أولاً : الإيمان بالقرآن المجيد .

ثانياً : قراءته .

ثالثاً : فهمه .

رابعاً : العمل به .

خامساً : تبليغه إلى الآخرين .



الحق الأول

الإيمان بالقرآن

وله وجهان، إقرار باللسان وهو شرط ضروري للدخول في حظيرة الإسلام، وتصديق بالقلب وهو يلزم الإيمان الحقيقي. المراد بالإيمان به هو أن يقر المرء بأنه كلام الله العزيز المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين بواسطة جبرائيل عليه السلام ويدخل المرء في حظيرة الإسلام بهذا الإقرار ولكنه لا يحظى بالإيمان الحقيقي إلا إذا تيقن بهذه المعتقدات بقلبه فاذا حصل له ذلك زادت لديه عظمة القرآن وازداد دهره بنفسه تعظيماً وتكريماً له فكأن الإيمان به يلزمه التعظيم والاكرام له. إن أول من آمن به هو الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه وصحابته المكرمون كما قال عز وجل: ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة - ٢٨٥).

ولما كان هذا الإيمان صدقه القلب وحالفه الاذعان واليقين وقع

في قلوبهم موقع الاجلال والتكريم وحل فيها محل الحب والوله به فكان النبي صلى الله عليه وسلم ينتظر الوحي ويتشوق إلى نزوله فاذا نزل عليه إستعد لقراءته وحفظه وهو وله به إلى حد بعيد حتى نصحه الله تعالى بالامتناع عن المبالغة فيها بقوله ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ (طه- ١٤٤) و﴿لَا تُخَوِّكْ بِهِ لِسَانُكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (القيامة- ١٦).

ولما انقطع الوحي في أول نزوله شق على الرسول انقطاعه حتى أنه كان يفكر بعض الأحيان في الايقاع بنفسه عن الجبل وكان يقضى أكثر الليل وهو يقرأ القرآن في الصلاة حتى تتورم قدماه وكم من صحابي تابعه على قراءته نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه كما شهد به القرآن ويأتي تفصيله فيما بعد وكان يسمع القرآن- وهو الذي أنزل عليه- من الصحابة بالحاج منه وقد تدمع عيناه وهو يستمع إليه، ولم تكن صلة النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته بالقرآن وولهم به إلى هذا الحد إلا لأنهم تيقنوا بنزوله من الله عزوجل حق اليقين، أما نحن فعلى نقيض ذلك نقر بأنه من الله ونشكره على أنه جعلنا من المسلمين المؤمنين بكلامه ولكنه لم يتحصل لدينا- إلا من شاء الله- هذا اليقين الكامل بكونه كلام الله مما أدى إلى بعدنا عنه وانصرافنا عن تلاوته..... قد لا يعجبكم هذا القول إلا اننى أرجو كل واحد منا

أن يخلو بنفسه ويفكر جدياً فيجد أنها خالية عن هذا اليقين وقد
حل محله الرب والشك كما شهد به القرآن ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا
الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَغَيُّ شَكٍّ مِنْهُ هُوَ يَبْ﴾ (الشورى ١٤) وهذا
الذي جعلنا ننصرف عن قراءته والتفكير في آياته وتكوين
شخصياتنا حسب أوامره ومنهياتة، كل هذا وذاك صادر عن
نقص في الإيمان واليقين ومن العسير أن ينفعنا أي موعظة أو
تذكير مادامت هذه العلة كامنة في القلوب محيطة بها من كل
جانب.....

إن واجبنا الأول لذلك هو أن نتحقق من أنفسنا
متسائلين، هل نعتقد بأن القرآن هو كتاب سماوى
مقدس ليس له أي رابط بالحياة ومسائلها العديدة
بناء على عقيدة ورثناها أبا عن جد أو نعتقد بأنه
كلام الله الذي أنزل ليهتدى به الناس ويقتدوا
بهديه في حياتهم.

فإذا كان الثاني فهو المراد وأما إذا كان الأول-وعليه أكثرنا
كما أظن- فعلى أن نجبر هذا النقص في الإيمان لأنه لا يمكن
الوفاء بحقوق القرآن إلا إذا حصلنا على هذا الإيمان.
وقد يتساءل سائل "فما هو الطريق العملي لجبر هذا النقص؟"

والجواب أن أسهل طريق للحل أول على الإيمان وأعظمه وقعاً في القلوب (هو صحبة الأخيار الصالحين أصحاب الإيمان واليقين كما تدل عليه أسوة الصحابة بأنفسهم فقد نالوا حظاً وافراً من هذا الإيجان بصحبة النبي العظيم قد لا يتصور مثله في هذا الزمان- أما بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن العامة من الناس لا يزالون يحتاجون إلى صحبة أولئك الخاصة الذين غمر قلوبهم الإيمان وداخلها إل شفافها، وأما الخاصة فإنهم يزدادون إيماناً وبصيرة بصحبة القرآن نفسه وبسيرة الرسول العظيم وسير أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ومن أراد أن يزداد إيماناً بالقرآن فما عليه إلا أن يلزم القرآن نفسه^(١).

ولم يكن الإيمان- كما سيأتي تفصيله -ليؤتى به من الخارج، إنما مصدره هو نفس الإيمان بعينه كما أن قلبه هو تلك المرآة الصافية التي تنعكس فيها حقائق الكون بأجمعها المعبر عنها بالإيمان بعبارة أخرى، وإنما تتغير تلك المرآة ويتضاءل ضوءها إما بسبب المجتمع الفاسد المحيط بالإنسان من

(١) كما قال شاعر الأردية الشهير المفقور له مرلانا ظفر علي خان: "لم يكن الإيمان لبقتنى من دكان الفلاسفة بل إنما يعثر عليه القاري بعد البحث والتفتيش في أجزاء القرآن".

كل جانب والتربية الفاسدة وإما بالأعمال
السيئة^(٢)

إن كلام الله نزل «تَبَصُّرَةً وَذِكْرًا لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ»
(ق-٨) لجلاء هذه المرأة الكامنة في القلوب فمن قرأه وتدبر في
معانيه طلبا عن الحق بنية صادقة ارتفعت عنه الحجب وتلأل
باطنه بالنور الوهاج من هذا الإيمان، هكذا يتحصل المرء على هذا
النور لأول مرة وكلما تغبرت هذه المرأة فما عليه إلا أن ينظفها
بقراءة القرآن نفسه كما أوصى به الرسول ﷺ في رواية عن
عبدالله بن عمر، «إن هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد إذا
أصابه الماء، قيل يا رسول الله ما جلاؤها؟ قال كثرة ذكر الموت
وتلاوة القرآن» رواه البهيقى.

عصارة القول بأنه لا يمكن تغيير مجرى الحياة إذا بقى المرء
يعتقد في القرآن ما ورثه كابراً عن كابر بل عليه-إذا أراد الوفاء
بحقوقه-أن يحصل على يقين كامل على أنه كتاب الله المنزل
لهداية البشر أجمعين، فمن حصل على هذا اليقين قويت صلته
بالقرآن لأن من شعر بأنه كلام ذلك الاله العظيم الذي لا تدركه

(٢) كما قال الله تعالى: «كُلًّا بَلَّ رَأْيَ عَمَلٍ قُلُوبُهُمْ هَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»
(المطففين ١٤) وكما قال النبي ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو
ينصرانه أو يمجسانه» (الحديث).

الأبصار ولا يمكن أن يتصوره أحد-والعجز عن إدراكه هو الإدراك بنفسه كما قال سيدنا أبو بكر الصديق^(٣) حدثت له ثورة عارمة في أفكاره ومخيلاته وعرف قدر هذه النعمة الجليلة التي لا تدانيه نعمة أخرى تحت أديم السماء^(٤).

وعندئذ تتغذى أرواحنا بتلاوته وتتنور قلوبنا بالتدبر في آياته وكلما قرأناه ازددنا رغبة في قراءته وكلما صرفنا جهودنا في فهم معانيه وسبر غموضه وأسراره أدركنا بأننا ما استوفينا حقه وما قمنا بالواجب حق قيامه.

(٣) ويقول سيدنا أبو بكر الصديق: "العجز عن درك الذات ادراك" يزيد عليه سيدنا علي بقوله: "والبحث عن كنه الذات إشراك".

(٤) كما ورد عن رسول الله ﷺ في حديث بأن "من أعطى القرآن ثم ظن بأن هناك نعمة أعظم منه أعطى رجل آخر فما عرف القرآن حق معرفته".

الحق الثاني

التلاوة والترتيل

وردت كلمة القراءة والتلاوة في القرآن المجيد للتعبير عن معنى واحد إلا أن كلمة التلاوة كأنها إصطلاح قرآني لقراءة كتاب الله بعاطفة من الإكرام والتعظيم لدى القاري، معتقداً بكونه كتاباً سماوياً جاعلاً نفسه في أحضانه فكراً وذهناً قاصداً الإتياع والإذعان، وقد وردت هذه الكلمة للتعبير عن القراءة خاصة في المصاحف السماوية، أما كلمة القراءة فهي تعم قراءة أي شيء، كما أن من معاني "التلاوة" الإتياع والاعتقاب وأما القراءة فلا تدل على أكثر من جمع وضم للمقروء.

واستعملت كلمة القراءة بادئ ذي بدء - حتى في كلام الناس - في تعلم القرآن وعلومه فمن تعلمه سمي قارئاً ثم اختصت هذه الكلمة أخيراً بمن قرأ القرآن مراعيًا علم التجويد وقواعده محافظاً على أداء الحروف حسب مخارجها كما أنه عرفت كلمة التلاوة

بقراءة القرآن بشيء من الإنابة والخضوع بقصد حصول البركة
ونيل النصيحة.

إن تلاوة القرآن هي افضل طريق وأعظمه تأثيراً في الحفاظ
على الإيمان وسقى غراسه كما أنها عبادة من أعظم أنواع
العبادات.

لم يكن القرآن ليفهم مرة فلا يعاد إليه أخرى، بل
إنما هو بمنزلة الغذاء للروح وكما ان الجسم
الحيواني لا يستغنى في يوم من الأيام عن غذائه
الذي مصدره هي الأرض فكذلك الروح التي
معينها السماء لا تستغنى عن الاستمداد بهذا
الغذاء الروحي من الكلام السماوي الحكيم.

ولم يكن الرسول في حاجة إلى تلاوة القرآن آناء النهار
واطرافاً من الليل لو كان القرآن من الكتب التي إذا فهمت مرة
ما اعيد إليها أبداً ولكنه امر بتلاوته وخاصة في الدور الأول من
النبوة وترتيبه بين يدي الله تعالى وكلما حزنه أمر او تهاجمت
عليه الأفكار والأحزان امر بالالتجاء إلى القرآن نفسه كما
قال تعالى: ﴿وَآتِلْهَا أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا تُبَدِّلُ
لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (الكهف-٢) ﴿آتِلْهَا

أَوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ﴿٤٥﴾ (العنكبوت-٤٥).

تدل هذه الآيات على ضرورة تلاوة القرآن بدون انقطاع فهي غذاء المؤمن وسلاحه ضد المشاكل والكوارث وآلته لتعهد غراس الإيمان وقد خص القرآن بالذكر أولئك الذين يعتنون بقراءته فقال: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ (البقرة-١٢١) وفقنا الله لتلاوته حق التلاوة ولكن ما هو حق التلاوة وما هي الشروط للوفاء به؟ إليكم بيانها بالاختصار.

١- التجويد

أي معرفة حروف القرآن ومخارجها ومعرفة رموزه وأوقافه ولا تصح التلاوة إلا بمعرفة هذه الأمور وهكذا كانت الحال قبل ثلاثين سنة ونيف فما من طفل يبلغ سن التمييز إلا يبدأ يتعلم حروف القرآن وأدائها حسب مخارجها في المساجد ومن الأسف الشديد أن كثيراً من الكهول والعجائز بل الجيل الجديد من الشبان والشابات في عصرنا هذا يعجزون عن قراءة القرآن نفسها مما يرجع سببه إلى تدهور حالة التعليم في المكاتب والمساجد وانتشار المدارس العصرية من رياض الأطفال إلى غير ذلك وأرجو منهم أن يتنبهوا إلى هذا النقصان العظيم ويسعوا إلى جبره بتعلم قراءته على الوجه الصحيح ولو بلغوا كما يجب عليهم أن يبدأوا بتعليم أولادهم الحروف العربية وأدائها بالنطق

الصحيح لتسهيل عليهم قراءة القرآن، وقد لا تمدح المبالغة في هذا الأمر إلا أنه لا مناص لكل من آمن بالله ورسوله وأعطى حظاً من العلم من أن يحافظ على قراءة القرآن على الوجه الذي مر بيانه.

٢- الوظيفة اليومية

الشيء الثاني المهم للوفاء بحق التلاوة هو أن يلتزم الرجل بنصاب معلوم من القراءة يومياً ويختلف قدره حسب اختلاف الناس وأحوالهم فأكثرها قراءة عشرة أجزاء يومياً أو ختم القرآن في ثلاثة أيام كما نص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأقله - وليس دونه شيء حسب ما تعارف عليه الناس والتزموا به في حياتهم فيما مضى من الزمن قريباً - هو تلاوة جزء يومياً بحيث يختم القرآن في شهر واحد وأوسطه ما كان عليه أكثر الصحابة كما أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو ختمه في سبعة أيام ولهذا عرفت سبعة أحزاب للقرآن منذ زمن الصحابة ولا يتجاوز الحزب الواحد أربعة أجزاء ومن السهل تلاوتها في ساعتين وهما أقل من عشر الليل والنهار بكاملهما، هذا هو النصاب للقراءة ويجب على كل من رزق حب الدين ووجد رغبة لديه في أداء حقه سواء كان من العامة أو الخاصة فكلاهما في احتياج شديد إلى تغذية أرواحهم

وتقويتها فالعامّة يخرج منها بالموعظة والذكر وأما الخاصّة
فبهتدون بهديده ويستنبطون بضوئه حسب مداركهم ونضوج
عقولهم^(٥) ولا يستغنى عن قراءته أحد ولا أولئك المفكرون في
آياته الخاضعون في عمق محيطه الواقفون لدى مشكلاته أمداً
طويلاً، فإنهم إلى تلاوته أشد احتياجاً من غيرهم لأنها تحل لهم
المشاكل وتفتح لهم الأبواب التي استعصى عليهم حلها سابقاً.

٣- اللحن الحسن

بما أن الصوت الحسن مرغوب لدى كل شخص يجب على
القاريء تلاوة القرآن بما استطاع من لحن طيب وصوت حسن وبما
أن الإسلام دين الفطرة فما كان ليقضى على دواعي الفطرة مثل
الاستماع إلى صوت حسن والنظر إلى أشياء حسنة من أصلها،
وإنما يصرفها إلى طريقها الصحيح فالنظر إلى كتابة المصحف
الأنيقة والاستماع إلى تلاوة القرآن بالألحان الطيبة مما يكفل
للمرء تحقيق هذه الدواعي على الوجه الصحيح ولذا قال النبي
صلى الله عليه وسلم: «زينوا القرآن بأصواتكم»^(٦) كما نبه على

(٥) من الرافع أن كثيراً من أهل الفكر والرأي تجلبهم عقد محكمة لا يجدون إلى
حلها أي سبيل قد يعتدون فجاءة إلى حلها بأيسر طريق خلال تلاوة القرآن بينما مروا
على نفس الآيات قبل ذلك مرور الكرام إلا أنهم ييلفوا إلى أي إشاره لخلو أذهانهم من
للك العقد سابقاً.

(٦) عن البراء بن عازب رضي الله عنه (رواه أبو داود والنسائي).

التقصير في هذا الأمر بقوله: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»^(٧) ورغب فيه بقوله: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغن بالقرآن يجهريه»^(٨) وكم حدث أن الرسول يقف في الطريق ليستمع إلى صحابي يقرأ القرآن باللحن الجميل وكان يسريه ويدعوه كما كان يطلب بعض الاحيان من بعض الصحابة ليقرأ عليه القرآن مثل ماورد عن عبد الله بن مسعود فقد طلب منه ذلك فقال: «يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ فقال صلى الله عليه وسلم "نعم" فلما قرأ عليه دمعت عيناه»^(٩) وقد سمع مرة أبا موسى الأشعري يقرأ القرآن فقال له «يا أبا موسى لقد أوتيت مزامراً من مزامير آل داود». (متفق عليه)

وأما إذا جعلت القراءة حرفة داخلتها الصناعة والرياء فإنما تصير من المهلكات ولكنه يجب على كل حال- للمراء أن يروي داعية حسن الصوت المودعة عنده بالاستماع إلى قراءة حسنة كما عليه أن يتلو القرآن بما استطاع من صوت حسن.

(٧) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، (رواه أبو داود).

(٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي.

(٩) متفق عليه.

٤- الآداب الظاهرة والباطنة

وهناك آداب ظاهرة وباطنة لأداء حق التلاوة أيضاً، منها كون المرء على وضوء وعلى جهة القبلة عند التلاوة مبتدئاً بالتعوذ ومنها أن يكون قلبه عامراً بالإيمان معترفاً بعظمة القرآن وصاحبه وقد خشيت جوارحه وخضعت بين يدي الله تعالى ما يريد إلا الهداية ولا يرجو من وراء ذلك إلا رضااً وقد قويت عزيمته على تفسير حسب مقتضيات القرآن، لا يقصر في التدبر في معانيه والتفكر في عظيم آياته ولا يقصد من ورائها الاستناد إلى آراء نفسه ومعتقداته، وبهذه الكيفية تتحقق القراءة فكان الرجل يتبع نفسه هذا الكتاب ويجعلها في صحبته مما تدل عليه كلمة "التلاوة" كما مر بيانه.

٥- الترتيل

ومن أعظم صور التلاوة وأجلها ترتيل ما تيسر من القرآن بين يدي الله تعالى في غاية من السكينة والطمأنينة في الصلوات وخاصة في صلاة التهجد مع مراعاة الشروط التي سبق بيانها مما لها تأثير عظيم في القلوب وهذا ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم وبه أمر في بداية عهد النبوة ﴿يَا أَيُّهَا الْمَوْهَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا، نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل ١-٤).

وهناك شبه قوى بين ترتيل القرآن أي قراءته بسكينة وقهمل وبين كيفية نزوله فإنه لم ينزل على الرسول جملة واحدة بل إنما نزل نجماً ولما انتقد الكفار على الرسول صلى الله عليه وسلم كونه لم ينزل جملة واحدة رد عليهم الله تعالى مخاطباً الرسول ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ (الفرقان - ٣٢).

يعلم من ذلك أن الترتيل هو أصلح طريق وأشدّه تأثيراً لتثبيت الفؤاد وبهذا الطريق وحده يستفيد قلب الإنسان أيما استفادة إلى أن تدمع العيون وقد روى ابن العربي صاحب "أحكام القرآن" تحت تفسير "الترتيل" ناقلاً عن سيدنا حسن بأن الرسول مر يوماً على رجل يقرأ آية آية ويغلب عليه البكاء فقال الرسول للصحابة أما سمعتم قول الله تعالى ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (المزمل - ٤) هذا هو الترتيل وأمر به صلى الله عليه وسلم في قوله "اتلوا القرآن وابكوا" (ابن ماجه) وروى بخصوص صلاته في الليل بأنه يسمع منه صوت عند تلاوة القرآن كأن قدراً يغلى على النار من شدة البكاء.

١- الحفظ

ومن الشروط اللازمة للترتيل حفظ ما قدر عليه الرجل من القرآن ومن الأسف الشديد أن الناس أهملوا هذا الجانب فبينما كان من المعروف سابقاً الاعتناء بحفظ القرآن من أوله إلى آخره

عند العامة والخاصة وعد من الشؤم إذا خلا بيت من حافظ
 للقرآن إلى أن صارت الأجوال في أيامنا هذه إلى أنه لا يعتنى
 بحفظه إلا أولاد طبقة من الفقراء والمساكين يرتزقون به في
 حياتهم ولما كان الحفظ يسهل في الصغر درج الأولاد على حفظه
 في باكورة حياتهم إلا أنهم قلما يصلون إلى درجة التفكير
 والتدبر في آياته وإننا لنحمد هذه الجهود المزمنة التي تبذل لحفظ
 القرآن ونرجو الله أن يبارك فيها، وأما ما أقصده من الحفظ في
 هذا الموضع فإنما هو ذاك الحفظ الذي يجب على كل إنسان
 الاعتناء به بغية الوفاء بحق الترتيل فيجب على كل واحد منا
 الاستزادة من حفظ القرآن والسعي فيه حتى يقدر على قراءته
 كلما قام بين يدي ربه في ساعات أخيرة من الليل.

ومن الأسف أنه أهمل هذا الجانب كلياً واستغنى عنه العلماء
 حتى ترى الأئمة في المساجد لا يهتمون بهذا الأمر أي اهتمام بل
 يرددون في الصلوات نفس السور والآيات التي علفت بأذهانهم
 منذ صغرهم وهم ممن يرتزقون به في حياتهم.

ومن المفروض على نقيض ذلك أن يجعل كل
 شخص ما يحفظه من القرآن بمثابة رأس ماله
 وعليه أن يسعى طلباً للزيادة فيه حتى إذا قرأ
 القرآن انتفع بأعلى صور القراءة وهي الترتيل
 وغذى روحه بالغذاء الكافي من أجود أنواعه.

الحق الثالث

التذكر والتدبر

الحق الثالث للقرآن - بعد الإيمان به وقراءته - هو فهمه ولم ينزل القرآن ولم يجب الإيمان به إلا ليفهم أولاً ، وقد تجاوز تلاوته بدون فهم لأولئك الأشخاص الذين لم يلقوا حظاً من العلم وقد تجاوزت بهم السن عن عمر التعلم والفهم فلا أقل بالنسبة لهم من التلاوة نظراً ولا يحرمون ثوابه إن شاء الله ، وهكذا ذلك الرجل الأمي الذي لم يعرف القراءة ولا الكتابة ولا يستطيع الآن إليهما سبيلاً إذا فتح المصحف وقد خشعت جوارحه أمام عظمة كلام الله وعظيم سلطانه ولم يجد غير الامرار بأصابعه على السطور لا يعدم الثواب والبركة^(١٠) . أما المثقفون من الناس الذين قضوا زهرة

(١٠) هذا هو المراد من الحديث الآتي إلا أن الناس استنبطوا منه على الخطأ بأن الرجل المتعلم القادر على تعلم القرآن لو قرأه وهو يصيب مرة ويخطئ مرات ولا يفهم شيئاً من قراءته يستحق عند الله الثواب . والحديث المشار إليه هو عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) (متفق عليه) .

حياتهم في علوم جمّة والسنة الأجنبية عديدة إذا قرأوا القرآن بدون فهم أو تدبر فلا يعذرون أبداً ولا ينتفعون بهذه التلاوة وقد يؤخذون عند الله لما وجد لديهم من احتقار واستهزاء بآيات الله إلا إذا أكبروا من جديد على تعلم القرآن ومعرفة آياته فلا يعدمون الثواب إن شاء الله حتى بمجرد التلاوة خلال زمن التعلم.

وليس فهم القرآن شيئاً بسيطاً يستوي فيه كل من عل ونهل بل إنما له درجات ومنازل يغرف منه كل واحد حسب استعداده وصلابته وذكاء قريحته، وباعتبار ما يبذل في هذا الأمر من جهد جهيد وسعى مجيد بدون هوادة أو كلل، ولا يشبع منه الإنسان ولو صرف فيه جل عمره وجاهد حق جهاده فان القرآن - كما قال النبي عليه الصلاة والسلام « كنز لا تنقضي عجائبه ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد » وليكن أصحاب الفكر والرؤية منصرفين بعزيمتهم إلى هذا العمل، ﴿وَقِيْلَ اِنَّكُمْ لَفِي غَافِلَةٍ﴾ (المطففين - ٢٦)

قد عبر القرآن عن مضمون الفهم بكلمات شتى من فكر وعقل وفقه وغير ذلك من الكلمات إلا أن أوسع تركيب وأشمله المستعمل لهذا الغرض هو "الذكر والتذكر" وقد عبر القرآن أحياناً عن نفسه بكلمة الذكر أو الذكري أو التذكرة، وبدلنا هذا التركيب على المنزل الأول من فهم القرآن وعلى الهدف الحقيقي الذي ينمى

إليه بأن تعاليمه، لم تكن غريبة بالنسبة للنفوس ولكنها تعبر
عن فطرتها وهي في طريق تذكير الإنسان دائماً لا إلى تفهيمه
شيئاً لم يسبق إليه بيان.

إن القرآن يدعو جميع الناس الذين أوتوا حظاً من الإدراك
المعبر عنهم بكلمة "أولى الألباب" وبـ "قوم يعقلون" إلى التفكير
والتدبر في الأنفس والأكوان تارة وفي آياته ووحيه تارة أخرى
كقوله ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
(البقرة-٢٤٢).

﴿كَذَٰلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (يونس-٢٤).
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ هَٰذَا نُزْلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل - ٤٤).

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف - ٢).

إن العاقل ليدرك-كلما فكر في الآيات القرآنية
والكونية والنفسية بأنها تتوحد وتتمازج بعضها
ببعض إلى حد بعيد كما أنها بأجمعها تشير إلى
حقائق تشهد عليها فطرة الإنسان نفسه وهي
شهادة باطنة كانت كامنة مستترة فصارت ظاهرة
جلية على سطح الشعور الإنساني فيحصل له
العلم بحقيقة النفس-وهو الإيمان بعبارة أخرى-

مثل ذلك الرجل الذي تدفعه الدوافع فتنتقل
أشياء من خزينته العامة بالذكريات إلى شعوره
الظاهر، وهذا هو "التذكر" بعينه حسب مصطلح
القرآن.

وما من شخص إلا وهو مفتقر إلى مثل هذا التذكر سواء كان
من العامة أو الخاصة ولذا يسر الله القرآن حتى يسهل على
الناس التذكر ونبه على ذلك بقوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ (القمر - ٤٠).

فصارت الحجة قائمة على كل شخص حتى ولو لم يؤت حظاً
وافراً من العلم ولم تطرق أسماعه أبداً بحوث في المنطق والفلسفة
ولم يتذوق أساليب اللغة وتراكيبها ولم يقف على حل معضلاتها
ودقائقها شريطة أن يكون ذا طبع مستقيم وفطرة صالحة وأن يقدر
على فهم عبارات القرآن كلما أمعن في قراءته.

وهناك جوانب شتى من "تيسير القرآن للذكر" فمنها أولاً
كون موضوعه ودعوته الأساسية معروفة لدى الفطرة الإنسانية
فكأنه نداء من باطن الإنسان صاحب الطبع السليم عند ما يرتع
بنفسه في رياض القرآن، وثانياً كون طريق استدلاله واحتجاجه
من أسهل الطرق وأيسرها كما جعلت المعضلات من القرآن سهلة

ميسرة بضرب أمثال رشيقة واضحة، وثالثاً كون لغته من أسهل اللغات-مع أنه المعجزة الباقية والدرة الفريدة حسب الأدب والمعاني-يأنس به كل من لازمه وحافظ عليه حتى ولو لم يعرف من العلوم إلا قليلاً.

ولا بد من معرفة مبادئ اللغة العربية على الأقل بنية التذكر بالقرآن فان مراجعة الترجمة بلغة سوى العربية عند تلاوة القرآن لا تسمن ولا تغنى، وأرى من الضروري على كل شخص دراسة اللغة العربية إلى حد يجعله على علم بمعاني القرآن الكريم عند تلاوته بدون مراجعة إلى أي ترجمة في الوقت عينه.

وليت شعري بماذا يعتذر بين يدي الله تعالى ذلك الرجل الذي عرف القراءة والكتابة مبدئياً مع تقصيره في دراسة شيء من اللغة العربية ليكون قادراً على فهم معاني القرآن الكريم وكيف بمن أتقن اللغات الأجنبية وحاز على شهادات عالية وتعلم علوماً صعبة المراس مثل الطب والهندسة..... وإنني على يقين بأن هؤلاء، الناس عندما يمتنعون عن تعلم اللغة العربية، فانما يتلاعبون بالقرآن نفسه بعملهم هذا ويجعلونه

عرضة للاستهزاء والسخرية فما أعظم مسئوليتهم
لدى الله وما أشد عقابهم عنده.....

وأرى أنه يجب على كل شخص متعلم تحصيل هذا القدر من
اللغة العربية الذي يجعله يفهم القرآن ومن قصر في هذا الواجب
فقد انتقص القرآن وجعل نفسه من الظالمين.

"التدبر في القرآن" هو المنزل الثاني بعد الفهم أي التفكير
في علومه وحكمه والغوص في بحر عجائبه وفرائده فانما هو هدى
للناس، فاذا كان مناراً للعامة بحيث ينير لهم طريق الحياة
ويجلى لهم حقائق الكون ما وجد الخاصة ملجأً إلا إليه ولا ملاذاً
إلا به عندما يتيهون في ظلمات من الشك والظنون خلال
رحلاتهم الفلسفية والعلمية.

إن القرآن هو موضع للتدبر والتفكير كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ
أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾
(ص-٢٩) كما أخذ على من لم يتدبر بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ
الْقُرْآنَ﴾ (النساء-٨٢) ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ
أَقْفَالٌهَا﴾ (محمد-٢٤).

وإذا كان سهلاً يسيراً من ناحية التذكر أصبح مغلقاً محكم
الأقفال من ناحية التدبر فهو بحر لا يعرف عمقه ولا يدرك

ساحله، يغوص فيه الغواصون فيتحيرون من عجائبه ودقائق
صنعتة، وكان الصحابة يقضون أوقاتاً طويلة الأمد في تدبر آياته
وتفقه معانيه، فهذا عبدالله بن عمر الذي أوصاه الرسول بختم
القرآن مرة في كل أسبوع، قضى ثمانية أعوام كاملة وهو يتدبر
في سورة البقرة وحدها وهذه هي حالة أولئك الناس الذين شاهدوا
القرآن وهو ينزل وكانوا أفصح العرب على الإطلاق وما كانت
تخفى عليهم آية من الآيات، متى نزلت ولماذا أنزلت؟ فكيف بمن
جاء بعدهم وتطفل على موائدهم... وهذا هو ابن جرير الطبري
والعلامة الزمخشري والإمام فخر الدين الرازي وأمثالهم من
جهابذة العلماء والمفسرين الذين أنجبتهم الأمة المسلمة من وقت
لآخر، يقضون أعمارهم على التفكير في جانب واحد من جوانب
القرآن فلا يفون بحقه ابداً، وهل هناك من يدعى خلال القرون
الأربعة عشرة الماضية بأنه وفي بحقه وقام بأدائه خير قيام، ولو
تمكن من تسويد آلاف من الأوراق تفسيراً وتوضيحاً؟؟ فكيف
بمن هو دونه علماً ومعرفة؟؟

نقل الغزالي في "إحياء العلوم" قولاً عن عارف يدل على
الفرق بين التلاوة الهادية إلى التذكر والأخرى الرامية إلى التدبر
فقد قال الرجل بائنني أتني على ختم للقرآن الكريم كل جمعة
وثانياً في شهر بأكمله وثالثاً في سنة بكاملها ورابعاً لم أصل

إلى منتهاه وقد بدأت به منذ ثلاثين سنة.

أما الشروط التي لا بد منها للتلاوة القاصدة إلى التدبر فهي
صعبة أيضاً لا يحققها إلا من وقف نفسه في سبيل العلم
والتعلم فلا يعرف غير القرآن صديقاً ولا أنيساً فعليه أولاً أن
يعرف قواعد اللغة العربية حتى يتقنها ثم يتذوق الآداب العربية
ثم يطلع ثانياً على شعرها ومنشوراتها وخاصة ما نقل عن العصر
الجاهلي من كلام الخطباء والشعراء فانه خير معوان على فهم لغة
القرآن الكريم كما عليه أن يتأنس بالمصطلحات التي وضعها
القرآن نفسه والأساليب التي هو صانعها وخالقها، ثم معرفة نظم
القرآن ثالثاً فانه من العلوم التي استعصى على العلماء معرفته
وكم لاقوا من مشقات ومتاعب في الوصول إلى الرابط الذي
يربط الآيات والصور بعضها ببعض ولا شك أن آياته وسوره
منتظمة مرتبطة ولذلك وضع الرسول كل آية في موضعها غير
مراع ترتيبها النزولي.

ومن الظاهر أنه لا يمكن الوفاء بحق التدبر إذا لم
يقطع المرء هذه المراحل كلها فمن قطعها استحق
أن يمتع نفسه بما يوجد في القرآن من درر وجواهر
ويجول ببصره وخاطره في أحضان كلام الله

الواسع الجوانب المترامى الأطراف جولة لا مشقة
بعده ولا عناء....

وعليه أن يكون على معرفة تامة بذخائر حديث الرسول صلى
الله عليه وسلم والصحف السماوية السابقة فاذا حصل له كل هذا
وذاك أصبح صالحاً لبتلو القرآن بنية التدبر فيه^(١١) وهناك مرحلة
أخرى عليه أن يقطعها كذلك وهي أن جميع العلوم العقلية
والتجريبية تصل إلى مستوى معلوم في كل عصر وقرن ولا بد
للرجل المتدبر في القرآن أن يعرف هذه العلوم بمقدماتها ومبادئها
وطرق استدلالها واستنتاجها وعواقبها ونتائجها ولو بصورة
إجمالية.

لأنه لا يكون في نصيب الرجل من القرآن إلا
حسب ما أعطيه من فطنة وذكاء وما يسعه ذهنه
عمقاً واتساعاً، ولا يستنير به الإنسان إلا في
حدود فكره ونظره ولا أشك- في تكوين أذهان
الناس وأفكارهم- من نفوذ العلوم الطبيعية
والعقلية التي تسود في عصورهم.

(١١) أرجو أن يراجع كل من عنى بتلاوة القرآن بنية التدبر والتفكير إلى كتاب
"مبادئ تدبر القرآن" تأليف الأستاذ أمين أحسن الاصلاحى "غير مترجم إلى اللغة
العربية إلى الآن) ويقرأ بعناية بالغة فانه مما يساعد على التدبر، ويجعله ليستانس
بالقرآن أيما استيناس".

ومن الطبيعي أن الناس عادة يفترون بالآراء والأفكار القائمة على أساس من العلوم الطبيعية وغيرها من علم المنطق والفلسفة والبحوث التي تتصل بالالوهية وما بعد الطبيعية وعلم النفس والأخلاق في كل عصر من العصور، فمن أراد أن يقف في وجه الآراء الفاسدة منها ويستأصل شأفتها ما عليه إلا أن يتعمق في هذه العلوم نفسها إلى أن يصل إلى قراراتها ومنابعها حتى يتمكن من نقضها من أساسها أسوة بالامام ابن تيمية والامام الغزالي رحمهما الله تعالى.

وقد بلغت العلوم الطبيعية والصناعية في هذا العصر ذروتها حتى تحيرت لها العقول ودانت لسلطانها القلوب وأصبح من المستحيل النقد على الأفكار الزائفة التي صاحبته فلا بد في مثل هذه الأحوال أن تتولى جماعة من أصحاب العزيمة والنية الصادقة تحقيق الشروط التي سبق بيانها بخصوص التدبر في القرآن من جهة وتسعى لتحصيل العلوم العصرية من جهة أخرى حتى تتمكن من تمييز العناصر الصالحة من العناصر الفاسدة وتخطب الناس على قدر عقولهم ومستواهم مستدلة بتجاربها الواسعة إزاء العلوم العصرية لتكون هداية القرآن عامة شاملة لكل ضال ومسترشد، ويتحقق بذلك تبين القرآن للناس كما قام به الرسول في حياته خير قيام، ولا بد لتحقيق هذا العمل من إقامة جامعات عديدة في العالم الإسلامي بحيث تهتم بموضوع

التدبر في القرآن كمادة جوهرية تدرس بجانبها جميع العلوم العقلية من الفلسفة والمنطق والألوهية وما بعد الطبيعة وعلم النفس والأخلاق والعلوم العمرانية من الاقتصاد والسياسة والقانون والعلوم الطبيعية من الحساب والكيمياء والطبيعة والفلكيات وجيولوجيا ويجب على كل طالب في مثل هذه الجامعة دراسة مادة "التدبر في القرآن" كمادة أساسية مع اختيار مادة أخرى أو أكثر من العلوم المشار إليها حسب صلاحيته وميوله الذاتية حتى يتمكن أخيراً من عرض تعاليم القرآن الكريم عرضاً وافياً شاملاً على أساس من تحقيقه في العلوم التي مارسها خلال الدراسة.

إنه عمل جليل لا يقدر عليه كل رجل، وإنه لا يطيقه إلا أولئك الأشخاص الذين يجدون من تلقاء أنفسهم ميولاً إلى العلم وتجد عندهم أسئلة من حين لآخر لا يمكن الرد عليها إلا بعد طرق كل باب من أبواب العقل، وإنهم ليجدون أنفسهم مضطرين إلى طلب العلم مثل الجائع إلى الطعام أو العطشان إلى الماء، تلهج أسنتهم دائماً بقولهم "رَبِّ زِدْنَا عِلْمًا" فمن أصاب منهم قيادة رشيدة نال حظاً من العلم والحكمة وهؤلاء هم الذين يقدرون على القيام بهذا العمل الجليل بحذافيره أما غيرهم من طلبة العلم فلا يعدون حظهم أيضاً على قدر جهدهم وصلاحيتهم وإلى هذا دعا

الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ترغيباً لهم «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (أخرجه البخاري رواية عن عثمان بن عفان) وإليه استنفر القرآن استنفاراً عاماً. ﴿فَلَوْ لَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ (التوبة - ١٢٢).

ولم يكن التفقه في الدين إلا ثمرة من ثمار التدبر في القرآن وقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة كابن عباس بقوله "اللهم فقهه في الدين" ولما قال: "خيركم في الجاهلية خياركم في الإسلام" أعقبه بشرط "إذا فقهوا".

الحق الرابع

العمل بالقرآن

هذا هو الحق الرابع بعد الإيمان به وتلاوته والتدبر فيه وهو المقصود لما سبق من الحقوق فإن القرآن ليس سحراً أو طلاسماً يدفع بها البلايا ولا هو كتاب بركة فحسب ليتلى احتساباً أو رجاء نقص في الأوجاع والآلام عند النزاع ولا هو كتاب فلسفة يقرأ للبحث والتحقيق ويخرج منه بنكات تحير العقول وتدهش النفوس بل إنما هو "هدى للناس" كما مر بيانه لا تتم رسالته إلا إذا حققه الناس في حياتهم، وقد أوضح القرآن بدون خفاء أو غموض وبينه الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه من لم يعمل بالقرآن ولم يحكم به لا يعتد بإيمانه ولو قضى عمره قراءة له والتدبر فيه. يقول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ لَمْ يَخُصَّ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة - ٤٤). وزاده الرسول إيضاحاً بقوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به» وقوله: «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه» (الترمذي).

قد يعذر ذلك الرجل الذي لا يزال يطلب الحق ويبحث عنه وقد
اهتم بالقرآن قراءة وفهماً ليعرف أحق أم باطل! وأما من آمن
بالقرآن كلاماً منزلاً من الله فلا يسعه إلا أن يتلو القرآن وهو
منصرف إليه بكامل عزيمته وإرادته، مستعد لتحقيق أو امره
والاجتناب عن نواهيه ولو اضطر إلى التضحية بالرخيص
والغالي في سبيله ولا تنكشف حقائقه - كما أسلفنا عند الكلام
حول معاني التلاوة - إلا لمن جعل نفسه في حيازة القرآن، فإذا
كانت الحالة كهذه أصبح لدى نفس الإنسان - بعد مجاهدة طويلة
الأمم ورياضة شاقة متعبة - طبع سلس منقاد عبر عنه الرسول
صلى الله عليه وسلم بقوله « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه
تبعاً لما جئت به » وهذه هي البداية بخصوص الهداية التامة التي
في القرآن، وكلما زاد الإنسان قوة وإحكاماً في صلته بالقرآن
زاد القدر من الهداية ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ
تَقْوَاهُمْ﴾ (سورة محمد - ١٧).

فكان الإنسان إذا تبع القرآن وهو ممسك بطرفه أصاب
الصراط المستقيم ووجد نفسه في ازدياد رشداً وهداية وإذا تلاه
غير قاصد العمل به فقد أضاع الوقت بدون أي انتفاع وقد جلب
عليه اللعنة كما نقل الإمام الغزالي عن بعض العارفين بأن كثيراً
من قراء القرآن لا يجدون من قراءتهم إلا اللعنة فانهم كلما قرأوا

قوله تعالى: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ» جعلوا أنفسهم عرضة لها لكذبهم ونفاقهم، وإذا قرأ قوله تعالى: «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ» (البقرة- ٢٧٩) كان ممن يأذنون بحرب من الله ورسوله إذا كان ممن يأكلون الربا ولا يتركونها بحال، وكذلك جلب عليه الويل عند قراءته «وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ» و«وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ» إذا كان من أصحاب هذه الصفات القبيحة والجريمة أشد بالنسبة لأولئك المشتغلين بالقرآن الذين قضوا أعمارهم في البحث والتفتيش عن درره وجواهره ثم لم يعملوا به ولم يرعوا حقوقه فأنما عملهم هذا لا يعدو التلعب بالقرآن فلا يرجعون على أنفسهم بقراءة القرآن إلا بالضلال كما قال تعالى: «يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا» (البقرة- ٢٦) ولا يعودون على إخوانهم إلا بفتح أبواب من الفتنة والفساد بحيث تصدق عليهم قوله تعالى: «فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ» (آل عمران- ٧) ولم يكن يتوقف الصحابة رضوان الله عليهم على بعض الآيات والسور آماداً طويلة إلا لحرصهم على العمل بما تيسر لهم من قراءة القرآن مع فهمها وتدبر معانيها حق التدبر والفهم، ومما يستعجب منه أن الصحابة ما كانوا يعنون بحفظ القرآن عن حفظه في الصدور فحسب بل إنما يعنون به عن فهم مضمونه والعمل بأحكامه حتى

يستوعبوه فهماً وحفظاً وعملاً في آن واحد. وكأنهم عنوا به عن أعماله في حياتهم بحيث تكون كلماته محفوظة لدى ذاكرتهم وعلومه في أذهانهم وأحلامه في سيرهم وخلقهم^(١٢) وهذا ما عنته السيدة عائشة في قولها المحكم عندما سئلت عن خلق النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: «كان خلقه القرآن» أي كان النبي صلى الله عليه وسلم نموذجاً مثالياً لتعاليم القرآن.

فالمقصود من حفظ القرآن وعلمه هو العمل به حتى يصير المرء متخلقاً بتعاليم القرآن أجمعه وإلا أصبح ممن يحتاج عليهم القرآن كما قال النبي صلى الله عليه وسلم «القرآن حجة لك أو عليك» وهناك نقطة لا بد من التنبيه عليها وهي أن للعمل بالقرآن جانبين اثنين، الجانب الشخصي والجانب الاجتماعي، وإن المرء مكلف على الفور بالأحكام والأوامر التي تتعلق بحياته الشخصية ولا عذر له إذا أهملها أو في أدائها فإذا لم يعمل بها أصبح ممن قيل عنهم بلسان القرآن «أكثر منافقي أمتي قراؤها»^(١٣) (مسند أحمد) فالطريق الأسلم هو العمل ما أمكن

(١٢) كما تشهد عليه هذه الرواية التالية التي نقلها السيوطي في "الائقان".
 "وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي حدثنا الذين كانوا يقرأون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم إذا كانوا يتعلمون من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا فتعلمنا القرآن جميعاً ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة".

(١٣) ليس المراد "بالقراء" المقرئين فقط بل إنما يعنى به عن كل من يشتغل بالقرآن قراءة وتحقيقاً وليس له حظ من العمل به إلا قليلاً.

بما تيسر للإنسان علمه من آيات القرآن على الفور، وأما الأحكام التي تتعلق بحياة الإنسان الاجتماعية فليس بمكلف بإقامتها في حد ذاته وإنما عليه أن يجد ويجتهد بما استطاع في إيجاد جو اجتماعي يصلح لاقامة هذه الأوامر ولم يكن جهده هذا إلا "مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ" ^(١٤٤) يقوم مقام تنفيذ هذه الأوامر الاجتماعية فعلاً وأما إذا قصر في القيام بمثل هذا القدر الزهيد من العمل منصرفاً بنفسه إلى كسب قوته ورعاية ذويه فيخشى عليه من ضياع حصيلته بما قدم من العمل بأوامر القرآن المتعلقة بالنواحي الشخصية كما يظهر من قوله عز وجل: ﴿أَفَتَوْفُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ ^(١٤٥).

(١٤) الآية ﴿وَإِذْ قَالَتِ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدِرَةٌ إِلَى رَبِّكَ وَلَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَقُونَ﴾ (الأعراف ١٦٤).

(١٥) يرتجف القلب من هول الوعيد الشديد الذي يعقب هذه الكلمات وهو قوله: "فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب" وهذا ما أصاب الأمة المسلمة جزاء إفعالها لأيات الله فما أشد خزيها في الدنيا كما تراء العيون ويشهدها الواقع، وأما عذاب الآخرة فلا مفر منه كذلك إلا إذا شملنا الله برعايته الخاصة ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة ١١٨) وكم يصدق علينا قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين" (رواه مسلم عن عمر بن الخطاب). وما أحسن ما قاله الشاعر: "كانوا أعزة لأجل إسلامهم وصرنا أذلة لجعلنا القرآن وراء ظهرنا" (الترجمة).

وكما أن القرآن اصطلاح للتعبير عن فهمه في أوسع معانيه على كلمة "التذكر" أورد تركيب «الحكم بما أنزل الله» للتعبير عن العمل بالقرآن كما في قوله: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (يوسف ٤٠ و ٤٧ والانباء ٥٧) وجعل القرآن حكماً في قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ (الرعد - ٣٧) وهو من واجبات الرسول المهمة كما في قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ (النساء - ١٠٥).

ثم صرح بدون غموض وإبهام بقوله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة ٤٤ و ٤٥ و ٤٧).

الحكم هو القضاء لغة، ولندرك معناه الواسع يجب أن نعرف أن هناك شيئين من أهم الأشياء بالنسبة لكل إنسان: فكره وعمله، وقد أحاطت كلمة الحكم كليهما بحيث توضح الرابطة الموجودة بينهما إذا وله المرء بأى فكر أو مبدأ بحيث يصبح رأياً يرتأبه أو قضاء يقضى به - أو بعبارة أخرى - حكماً يحكم به صار عمله تابعاً له تلقائياً.

ولذلك أورد القرآن اصطلاحه الخاص - الحكم بما أنزل الله - معبرا عن العمل به حتى يتضح لكل ذى عينين أنه لا يمكن

العمل بالقرآن إلا إذا صارت أفكار الإنسان وآراؤه للقرآن
منقادة له لا تحيد عنه قيد شعرة في حال من الأحوال.

وهناك اصطلاح آخر وهو "الإقامة" للتعبير عن العمل
بالكتب السماوية كما ورد بخصوص اليهود والنصارى ﴿وَلَوْ
أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ
لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ (المائدة - ٦٦) ثم
أردفها بقوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى
تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.
(المائدة ٦٨)

وإذا كان الحكم بما أنزل الله يتصل عادة بالأفراد وأعمالهم
عنى "بما أنزل الله" عن إقامة ذلك النظام الإجتماعي العادل
الذي يضمن لأفراده وجميع طبقاته عدلا شاملا ورخاء وسكينة
فلا ظلم ولا عدوان ولا بغى ولا طغيان ولا بابا يفتح للضغط
السياسي أو الاستغلال الإقتصادي ويتم بذلك الأمن والسلام
والسكينة والطمأنينة كما بشرت به الآية السالفة الذكر من سورة
المائدة، وقد أشار الله تعالى إلى إقامة هذا النظام التكافلي في
الآية التالية من ٨ سورة الحديد إجمالا بقوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ
بِالْقِسْطِ﴾ (الحديد- ٢٥) وذكره تفصيلا وإيضاحاً في سورة

الشورى بحيث يتضح ما يوجد الحكم الإلهي وإقامة دينه والإيمان
بكتابه، وإيجاد هذا النظام العادل من روابط وثيقة محكمة
الوشائع فذكر أولاً الأساس الذي يبتنى عليه بقوله ﴿وَمَا
اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ (الشورى - ١٠) ثم
أعقبه في الآيات التالية بذكر الدين أو الشرع الذي ينتج عن
الحكم الإلهي فقال: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا
وَالَّذِينَ آوَوْا حِينًا إِلَيْكَ وَهُمْ وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى
وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾. (الشورى - ١٣)
خاطب بعدها الرسول بقوله: ﴿فَكَذَلِكَ قَادِعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا
أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ
وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ (الشورى - ١٥) واختتم هذا الموضوع
بهذه الكلمات الجامعة التالية.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَهُمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ
السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (الشورى - ١٧) وقد ذكر "الميزان" في هذه الآية
مقترناً "بالكتاب" كما سلف في آية من سورة الحديد وقد جاء
الأستاذ شبير أحمد عثمانى بكلام جامع عندما فسر هذه الآية
فقال: "أنزل الله ميزاناً مادياً توزن فيه الأجسام وميزاناً علمياً
يعبر عنه بالعقل السليم وميزاناً خلقياً يعني به عن صفة العدل
والإنصاف وميزاناً آخر من أكبر الموازين وهو ميزان الدين الحق
يميز حقوق الخالق منها للمخلوق ويوزن فيه الكلام فلا ينقص

ولا يزاد".

إن القرآن جعل أساس التفرق والإنتشار هو البغى بين الناس كما ذكر في نفس السورة ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى - ١٤) ولكنه إذا أقيم الدين الحق أي الكتاب والميزان انسدت جميع الطرق المؤدية إلى البغى والطغيان فلا مجال عندئذ للأحبار والرهبان أن يكونوا أرباباً من دون الله ولا لرأس المال أن يكون ﴿دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (الحشر - ٧) ولا لأصحاب السياسة أن يجعلوا الناس عرضة للاستبداد والاستغلال بل يتم - محل هذا وذاك - التآخي بين العباد وأصبح من واجب أولي الأمر أن يكون الضعيف لديهم قوياً حتى يسلم إليه حقه والقوى ضعيفاً حتى يؤخذ منه ما اغتصب من حقوق الناس وأعراضهم.

هذا هو النظام التكاملي العادل الذي وجب على المؤمنين بكتاب الله إقامته وإيجاده ويكلفون به إجتماعياً ويسئلون عنه يوم لا ينفع مال ولا بنون.

وكان الله تعالى لما ذكر هذا الموضوع من إقامة الدين، وإنزال الميزان وعقبيه بقوله ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ (الشورى - ١٧) نبيه الناس على الاستعجال بإقامة دينه وأداء حقوقه فإنهم لا يدرون في أي ساعة من الساعات تقوم عليهم

القيامه فيحاسبون على كل صغيرة وكبيرة.....

وما هو الطريق لإقامة هذا النظام؟ سؤال يطرق كل ذهن ويختلج في كل صدر... ولست بصدد إثارة هذا البحث إلا أنني أنتهز الفرصة لأشير إلى نقطة هامة وهي أنه من الخطأ الفاحش أن يقاس ما يبذل في إقامة هذا النظام من جهود وأعمال على أي حركة أخرى من الحركات السياسية أو الإقتصادية أو الإجتماعية التي يشهدها العالم من حين لآخر كما أنه من الضلال والمفسدة أن يستعار لإنجاحه خطة عملية سارت عليها حركات أخرى قديماً أو حديثاً، وكما أنه لا يصلح المرء ولا تحسن حالته الروحية إلا إذا حبيت إليه تعاليم القرآن بحيث يؤمن قلبه بصحتها فإذا تم ذلك خشعت لها جوارحه ودانت لعظمتها خواطره وعواطفه فلا يري مثل القرآن هادياً ومرشداً في حياته كلها، كذلك الحال بالنسبة للجماعة، أما إحداث ثورة إسلامية في هينتها فإنه لا تتم هذه الثورة إلا إذا آمنت به الطبقة المثقفة التي هي بمثابة المركز من هذه الجماعة بحيث يصل القرآن إلى شفاف قلوبهم ويتمركز في داخل حشايهم، فإذا تم لهذه الفئة الإيمان انتشر تلقائياً إلى الطبقات الأخرى التي هي بمثابة الجوارح من الجسد من بقية الأمة، فتصبح الجماعة عندئذ جماعة راسخة الإيمان مستنورة بنور من وحي السماء مجتنبية ثمار هذا النظام في ظل

هدى القرآن.

هذا هو السبيل الوحيد الذي لا سبيل دونه لإقامة الدين بكامله ومن أفسد الآراء بل من أوهنها أن يحلم بإقامة دينه بواسطة إنشاء حركة سياسية قائمة على أساس من الاستغلال لعواطف الناس الدينية لأجل صلتهم بالإسلام كمذهب ورثوه أبا عن جد أو كابرأ عن كابر.

هذه جمل تطرق الحديث إليها والمهم أن العمل بالقرآن المعبر عنه "بالحكم بما أنزل الله" تارة و"بإقامة ما أنزل من الله" أخرى هو حق من أعظم الحقوق وجب أدائه على كل إنسان شخصياً وعلى الأمة المسلمة اجتماعياً.

الحق الخامس

التبليغ والتبيين

الحق الأخير الذي وجب على كل مسلم أدائه حسب صلاحيته واستعداده - بعد كل حق من الإيمان بالقرآن وقراءته وفهمه والعمل به - هو الدعوة به إلى الآخرين.

وقد اصطلح القرآن للتعبير عن الدعوة به على كلمة "التبليغ" ولهذه الكلمة جوانب ودرجات فمن بينها "التعليم" ومن إحدى مراتبها العليا "التبيين" وبصدد ذكر الغاية من القرآن قال الله تعالى: ﴿ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَإِيذَرْوْا بِهِ ﴾ (إبراهيم - ٥٢) كما أشار به كواجب أولى من واجبات الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿وَأَوْحِيْ اِلَى هَٰذَا الْقُرْآنِ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ (الأنعام ١٩) ثم نوه على أن واجب الرسول الأساسي هو إبلاغه إلى الناس بدون نقص وإهمال فاذا قصر في ذلك لم يوف الرسالة حقها

بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة-٦٧).

وحقاً قد أدى الرسول الأمانة ولاقى في أدائه أنواعاً من المصائب والألام منذ بعثته إلى أن التحق بالرفيق الأعلى، وحقاً إنه قام بنشاط واسع في مختلف صورته وأشكاله طيلة هذه المدة إلا أنه من الواضح- لو نظرنا بدقة تامة- أن جهوده كلها كانت تدور حول نقطة واحدة فلم يكن ليحيد عن قراءة القرآن وتبليغه إلى الناس وتبيينه للحاضر والبادي قيد شعرة طوال حياته بعد البعثة وقد ذكر أربع مرات في القرآن الطريق الذي اتخذه للدعوة وإصلاح المجتمع بقوله: ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (البقرة، آل عمران، الجمعة) وتهدف هذه الآيات إلى نفس الطريق الذي سلف ببيانه بصدد الكلام حول إحداث ثورة إسلامية. أدى الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الحق وبلغ الأمانة إلى الصحابة بجهده المتواصل وعمله الجريئ المتلاحق خلال ثلاث وعشرين سنة وحرص أصحابه^(١٦) على تبليغه إلى الناس بقوله «بلغوا عني ولو آية» وفوض هذه

(١٦) وهناك نموذج رائع من الصحابة في شخصية مصعب بن عمير الذي قام بالدعوة في ربوع يثرب فصارت هذه الديار مهجراً للمسلمين وكفاها فخراً بذلك ونرجو أن يحذو كل مسلم حذو هذا الصحابي الجليل ليقوم بأداء الأمانة خير قيام.

الامانة-بعد أن كمل الدين وتمت النعمة-إلى هذه الأمة حتى تتولى أداؤها فيما بعد في خطبته الأخيرة عند حجة الوداع بعد ما استشهد الصحابة على أنه بلغ الدين فقال « وليبلغ الشاهد الغائب ».

وصارت بذلك الأمة المسلمة مسئولة عن تبليغه إلى الآخرين حتى يوم القيامة، ولما كانت الأمة لا تكون إلا من الناس وجب على كل شخص اداء هذه الامانة حسب صلاحيته، فعلى العلماء مثلاً أن يؤدوه حسب استعدادهم ومقدرتهم، وعلى العامة في حدود علمهم ومعرفتهم.

ولا شك أن ما من امرئ إلا وهو مسئول عن أداء هذا الحق أخذاً من قوله صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية" فمن تعلم قراءة القرآن فعليه أن يعلم الآخرين القراءة ومن حفظ بعض آياته وسوره فليحفظ قدرها أصحابه، ومن عرف ترجمته فليعرف الناس ترجمته بلغتهم، ومن فهم معانيه سعي في تفهيمها من يجهلها من أقرانه حتى لو عرف آية واحدة سعي ليله وجد نهاره ليطلع عليها الآخرون...

هذا هو "التبليغ" الذي لا تبرأ الأمة المسلمة
من أداء حقه اجتماعياً إلا إذا بلغت بمقتضىه ومعانيه
إلى مشارق الأرض ومغاربها...

إن تحقيق هذا الشيء لا يعدو حتماً من الأحلام في وقتنا
الحاضر لأن الأمة التي أخذت على عاتقها أداء هذا الواجب
العظيم قد بلغت من الجهل والاعراض عن القرآن إلى أن صارت
الآن في حاجة إلى أن يبلغ إليها القرآن من جديد، فمن المهم أن
يجب على هذه الأمة نفسها تعلم القرآن وتعليمه بحيث يصبح
كل امرئ إما متعلماً أو معلماً للقرآن، وفقنا الله لتحقيقه،
آمين.

"والتعليم" هو أحد فروع التبليغ كما مر بيانه كما أن
"التبيين" من مراتبه العليا فليس من الواجب تبليغه إلى الآخرين
فحسب بل لا بد من تبينه لهم مع إيضاح لما تتضمنه الآيات
والسور من المعاني والأدلة على مستوى أذهانهم وقواهم العقلية
كما أشير إليه عند الكلام حول التدبر في القرآن وقد عبر الله
تعالى "البيان" عن القرآن في قوله: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى
وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران - ١٣٨) كما عبر عنه بكلمة
"المبين" تارة وعن آياته بصفة "البيانات" وجعل من واجب الأنبياء

تبليغ آياته وتبيينها للناس فقد خاطب الرسول بقوله: ﴿هُوَ أَنْزَلَنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ (النحل - ٤٤) وذكر عن أهل الكتاب وعن عهدهم الذي عاهدوه فقال: ﴿هُوَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران ١٨٧) وقد استحقوا اللعنة لما أهملوا هذا الحق وكتموه أشد الكتمان كما في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة - ١٥٩).

ومن أدنى مراتب "التبيين" أن يوضح لكل قوم معانى القرآن الكريم - ولو إجمالاً - بلفظه التي يتفاهم بها أفراده لأنه لا يتم التبيين لقوم من الأقوام إلا بلسانه كما قال عز وجل: ﴿هُوَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (إبراهيم - ٤).

ومن الضروري لتحقيق هذا الأمر طبع القرآن الكريم في كل قطر من أقطار العالم مع ترجمته وتفسيره باللغة المحلية ولو مختصراً ونشره وتوزيعه ما أمكن ذلك.

قارئي الكريم! هذه هي الحقوق التي يجب على كل مسلم أداؤها والعناية بها ولنحمد الله على أننا نحتفظ بالقرآن كما أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم بدون تغيير أو تبديل وإننا

لنعتز به أيما اعتزاز وعلينا مسؤولية كبيرة إزاء ذلك فإن بني
إسرائيل حملوا كتاب الله قبلنا ولما فشلوا في أداء المهمة وحمل
المسؤولية جاء الله بأمة غيرها تتولى حمل كتابه العزيز، وقد مثل
تعالى الذين حملوا كتابه ثم لم يوفوا حقه بقوله في سورة
الجمعة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ
الْإِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ ثم عد عملهم هذا تكذيباً لآياته فقال:
﴿بَشِّرْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أردفه بذكر سنة
الله التي لن تجد لها تبديلاً ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
(الجمعة- ٥) وإنني أتعوذ بالله من أن أكون أنا أو تكونوا أنتم
من هؤلاء المذكورين وأدعوه أن يجعلنا ممن يحملون القرآن فيوفون
حقه. وعندما يقول الله عز وجل في سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ
يَا رَبِّ إِنِّي قَوِّهِمْ أَتَّخِذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ أراد بهم
الكفار أصلاً، إلا أن الآية تشمل أولئك الذين آمنوا بالقرآن ثم
لم يعتنوا به بتاتاً كما ذكر الشيخ شبير أحمد العثماني في
تفسيره تحت هذه الآية "أريد بهذه الآية الكفار إلا أن جميع
الأعمال من عدم التصديق بالقرآن والتدبر في آياته والعمل
بمقتضياته والاهمال في تلاوته وتصحيح قراءته والانصراف عنه
مع الاشتغال بأمور أخرى تالفة مما يؤدي إلى هجر القرآن

تدريباً (١٧)

وأتعوذ بالله مرة أخرى من أن نكون من أمثال أولئك المذكورين آنفاً وأختتم خطابي هذا بالدعاء الذي أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم ويدعى به عادة عند ختم القرآن إلا أنني أرى أن يستكثر منه ليوفقنا الله تعالى لأداء حقوقه.

"اللهم إرحمنا بالقرآن العظيم واجعله لنا إماماً ونوراً وهدى ورحمة، اللهم ذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لنا حجة يارب العالمين. آمين".

ندرج فيما يلي دعاء آخر مروياً عن عبد الله بن مسعود - على سبيل اليمن والبركة - لقنه صلى الله عليه وسلم الصحابة ليدعوا به عند نزول الآلام والمصائب والأحزان وهو شرح واف "للعبودية الكاملة" وتفسير شامل لقوله «شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ» وإيضاح تام لما يكنه الرسول من قدر وإجلال تجاه القرآن الكريم. ورد هذا الدعاء في كل من مسند أحمد ورزين باختلاف يسير في كلماته

(١٧) مما يدل على عظم مكانة الأستاذ شبير أحمد العثماني وقربه من الرسول صلى الله عليه وسلم أن كلماته هذه تضارع حديثاً واحداً من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم مروياً عن عبيدة الملبكى. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "يا أهل القرآن لا تتوسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته من آناء الليل والنهار وأفشوه وتغنوه وتدهروا فيه لعلكم تفلحون" (شعب الإيمان للبيهقي).

ونعرضه بعد جمعه في مكان واحد.

"اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك في قبضتك،
 ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل
 اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به
 في مكنون الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري
 وجلاء حزني وذهاب همي وغمي، آمين".

ستطبع قريباً بإذن الله تعالى

من مؤلفات أمير التنظيم الإسلامي والرئيس المؤسس

لجمعية خدام القرآن المركزية

الدكتور إسرار أحمد

١ طريق النجاة في ضوء سورة العصر

٢ المنهج العملي للأمة المسلمة

عنوان الناشر

مدير مكتبة جمعية خدام القرآن المركزية

٣٦ ك. ، مادل تاؤن، لاهور، باكستان.